تجليات الخيال الشعبي في السيرة الشعبية

سيرة عنترة بن شداد أنموذجًا

دكتور

نوير سعيد باجابر

أستاذ الأدب المساعد

الملخص

يتناول هذا البحث السيرة الشعبية بين الواقع والخيال، حيث يضفي الخيال الشعبي على السيرة كثيرا من الإضافات، والمبالغات والأَسْطَرَة، لتصبح في صورة مختلفة كثيرا عن السيرة الواقعية. ومن ثم فإن هذا البحث يحاول الكشف عن تجليات الخيال الشعبي في سيرة عنترة بن شداد عبر الأسطورة والخرافة، والخوارق والعجائبية إذ تعد هذه السيرة من أهم السير الشعبية ومن أكبر الملاحم القصصية التي نسجها الخيال الشعبي حتى غدت أسطورة عربية متكاملة البناء، ترسم ملامح البطل الأسطوري الذي يحاول إثبات ذاته وفروسيته وشجاعته.

فالمجتمع يلجأ في لحظات الضعف الحضاري إلى الخيال الشعبي للتعويض عن بطولات حاضرة في واقعه ليخلق نماذج أسطورية يملأ بها حاجته النفسية والاجتماعية الناجمة عن الافتقار إلى إنجازات حقيقية بطولية في الواقع. تهدف الدراسة إلى الكشف عن تجليات الخيال في السيرة الشعبية، من خلال سيرة عنترة بن شداد أنموذج الدراسة، كما تهدف أيضا إلى التعرف على الجانب الإبداعي في الموروث الشعبي العربي القديم وخصوبة الخيال الشعبي العربي واتساعه، فشخصية عنترة لم ينحتها الواقع بقدر ما نسجها الخيال الشعبي، وأضاف إليها الكثير من الروايات التي تعزز أسطورته، فتمثل سيرته قيمة الفضيلة عند العرب، وتعكس نظام الحياة القبلية في المجتمع الجاهلي، وهو نظام العبد والسيد وقوامه الدفاع عن العرض والشرف، والتفاخر بالقوة والشجاعة.

الكلمات المفتاحية : تجليات– الخيال– الشعبي– السيرة الشعبية– عنترة بن شداد

دكتور

نوير باجابر

قسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بالقنفذة

جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

Nsbajaer_n@hotmail.com

Abstract:

This research, which bears the mark (the manifestations of popular fiction in the popular biography, the biography of Antara bin Shaddad as a model), deals with the popular biography between reality and fiction, as the popular imagination gives to the CV a lot of additions, exaggerations and superstitions, to become in a much different form from the biography of life The real one. Hence, this research attempts to reveal the features of the popular imagination in the biography of Antara Bin Shaddad through the myth, the paranormal and the miracle, as this biography is one of the most important popular biographies and one of the greatest epics of epics that the popular writer woven into becoming an integrated Arab legend that draws features The legendary hero who tries to prove himself, his horses riding and bravery.

In moments of civilizational weakness, society resorted to popular imagination to compensate for the heroics that exist in its reality to create legendary models in which it meets its psychological and social need resulting from the lack of real heroic achievements in reality. The study aims to reveal the aspects of fiction in the popular biography, through the biography of Antara Bin Shaddad, the study model. It also aims to identify the creative side of the ancient Arab folklore and the fertility and breadth of the Arab folk imagination, as the Antara character did not depict reality as much as it was woven with the popular imagination. He added to it many narrations that reinforce his legend, so his autobiography

represents the value of virtue among the Arabs, and reflects the system of tribal life in a pre-Islamic society, which is the system of slave and master and his power to defend honor and pride in strength and courage.

Keywords : Manifestation- Imagination –Popular- Biography- Antara Bin Shaddad

Nowier Bajaber

Department of Arabic Language, Al-Qunfudhah University College, Umm Al Qura University, KSA

Nsbajaer_n@hotmail.com

المقدمة

تمثّل السّيرة الشّعبيّة محوراً مهماً من محاور السّرد العربي القديم، وتكمن الأهمّية الكبرى للسّيرة في كونها نصاً جامعاً لعدد من الأنواع الأدبية، سردية وشعرية، حيث تتداخل فيها الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية والقصص البطولي فضلاً عن النصوص الشعرية وغيرها من الفنون الأدبية؛ لهذا كانت السيرة الشعبية تمثل الرؤية الشعبية للقصص البطولي من جهة، والبنية الثقافية للمجتمعات التي رُويت فيها والخلفيات الثّقافية للرّواة أنفسهم، من جهة أخرى(١). وهو ما يجعل من السّيرة الشعبية فضاء خصبا يتقاطع فيه الواقع مع الخيال والأساطير والخرافات، وتلتحم فيه الثقافة الشعبية مع النصوص الإبداعية شعرية كانت أو نثرية. وتعكس السّيرة الشعبية طموحات الإنسان العربي وأحلامه وما يصبو إليه من بطولات يرى فيها ذاته وقيم مجتمعه الخاصة الممتدة عبر التاريخ.

لذلك تعد السيرة الشعبية من أهم أشكال التعبير الشعبي الأزلي التي تعبّر عما يجيش بالوجدان الشعبي من آمال وأحلام، وما تحمله من دلالات ورموز اجتماعية ونفسية يمكن من خلالها التعرف على خصائص الشعوب وبنائها الاجتماعي، وعاداتها وتقاليدها، أو تكوينها النفسي وتاريخها، كما تتصوره وتنشده(٢)، ولعل أهم السير الشعبية العربية قد عبّرت عن هذه القيم كما عبّرت عن الملامح الاجتماعية والثقافية لشعوبنا العربية، ونذكر منها سيرة سيف بن ذي يزن، والسّيرة الهلالية، وسيرة الزير سالم وسيرة عنترة بن شداد موضوع

---

(١) صفاء ذياب، تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية، "الطبعة الأولى" ٢٠١٥، دمشق، ص ١٤.

(٢) محمد النجار، البطل في الملاحم الشعبية، جامعة القاهرة، ص أ.

الدراسة، التي سنسعى من خلالها إلى تسليط الضوء على تجليات الخيال في السيرة الشعبية وسنتطرق إلى العناصر الآتية:

- السيرة لغة واصطلاحا
- السيرة الشعبية
- العناصر الدرامية في السيرة الشعبية
- الخيال في سيرة عنترة بن شداد
- عنترة بن شداد بين الواقع والأسطورة.

١-السيرة لغة واصطلاحا:

أ- لغةً:

مأخوذة من الفعل سَيَرَ، والسَّيْر في اللغة من الفعل سَار يَسِير بمعنى "الذّهاب، كالمسير، والمسيرة، والسّيرورة، والاسْتِيار"(١).

قال ابن منظور مُبيّنا انتقال السَّيْر من المصدرية إلى الاسمية: "والاسم من كل ذلك السّيرة"(٢)، وقال علماء اللغة " السّيرة: الضرب من السّير، والسّيرة: السنة، والسّيرة الطريقة، والسّيرة: الهيئة"(٣).

وللسّيرة دلالات عديدة، لكنها تقترب من بعضها معنى، فالسّيرة: السُّنَّة، يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسّيرة "الهيئة" وسيرة السّيرة "حدث أحاديث الأوائل"(٤).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ،، ١٤١٠-١٩٩٠.ج ٣ مادة (سَيَرَ)ص ٣٩٠.

(٢) المصدر نفسه، مادة (سَيَرَ)

(٣) نفسه

(٤) نفسه

وارتبطت السّيرة دلالياً في نشأتها الأولى بتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته ضد المشركين لنشر الدّعوة الإسلامية [١].

وقد استعملت لفظة السّيرة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ [٢]، أي سنعيدها لهيئتها الأولى.

ب- اصطلاحا:

السيّرة فن أدبي يعتمد على الانتقاء والترتيب لإعادة الشخصية إلى واقعها الحقيقي دون تزييف، وتعني قصة الحياة وتاريخها، وكتبها تسمى: كتب السّير، يقال قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته، والسّيرة النبويّة تعني مجموع ما ورد لنا من وقائع حياة رسول الإسلام وصفاته الخلقية والخلقية، مضافا إليها غزواته وسراياه. ويقال أيضا كتب المغازي لوصفها للغزوات والمعارك والرّحلات.

ويقال كتب الطبقات لتقسيمها سير الأشخاص المعلومين إلى طبقات كل طبقة مكوّنة من عدة سنوات قد تكون مئة سنة أو أكثر أو أقل بحسب تقسيم المؤلف[٣].

أما السّيرة الشعبية فهي من حيث الشكل – قصّة تحكمها مبادئ السرد القصصي وتحافظ على ثباتها عبر فترة طويلة من الزمن، ويمكن اعتبارها نتاج خيال شعبي غالباً، و الإنسان هو بطلها الرئيسي، وقد تتضمن السّيرة معطيات دينية تسرد وقائع سيرة شخص ما يكون بطل السّيرة الأوحد،

---

(١) ضياء الكعبي السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠٠، ص ١٥٥.

(٢) القرآن الكريم. سورة طه (الآية ٢١).

(٣) ينظر : الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا، كتابة سيرة.

بالإضافة إلى أشخاص متعددين تتفاوت أهميتهم حسب قربهم من البطل، وتحتوي السّيرة أساساً تاريخياً يقوى ويضعف حسب السيّرة، وحسب الظرف الحضاري الذي وجدت فيه، كما أنها تحتوي على مبالغات تبدأ من مقدرة البطل على قتل عشرة مقاتلين بضربة سيف واحدة مثل عنترة بن شداد(١)، ويتداخل مصطلح السيرة الشعبية مع مفاهيم أخرى تشترك معه في بعض الخصائص مثل: الأسطورة، والخرافة، والحكاية الشعبية، والملحمة، لذلك يجد الباحث في هذا المجال صعوبة في تحديد مفهوم دقيق للسّيرة الشعبية.

٢-السيرة الشعبية:

السيرة الشعبية فن مستقل بذاته له قواعده وأصوله، وله بناؤه الفني الخاص به، وله أهدافه الفنية والاجتماعية والسياسية التي استقل بها وتميز، ولهذا لا نستطيع أن ندرجها ضمن الآداب الشعبية المعروفة التي وجدت عند كل الشعوب، وفي كل اللغات القديمة التي دوّن بها الإنسان أدبه الشعبي المعروف لنا الآن، فلا يمكن أن ندرج السيرة الشعبية العربية ضمن الحكايات الشعبية الخرافية والحكايات الشعبية الخاصة بالبطولة، فهي وإن حملت الكثير من ملامحها إلاّ أنها تتميز بمنهج خاص بها يفردها عن الانضواء تحت لواء الأدب الشعبي العام المتوارث والمعروف ويجعل لها خصوصية مفردة بذاتها(٢).

---

(١) ينظر : فاروق خورشيد :أدب السيرة الشعبية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العلمية للنشر، ١٩٩٤، ص ٤٤.

(٢) ينظر: فاروق خورشيد ، أدب السيرة الشعبية، مرجع سابق، ص ٤٤.

فالسّيرة الشعبية فن قصصي قائم بذاته له أصوله وله قواعده الفنية التي تسير عليها السّير المتكاملة، وتسير نحوه السّير التي دوّنت قبل أن تكتمل لها كل مراحل القيمة الفنية، وقبل أن تتحقق لها كل ملامح السّيرة الشعبية الفنية(١).

وارتباط السّيرة بالشعبي، جعل للسيرة الشعبية محوراً خاصاً بها، يجمع بين التاريخي والقص الشعبي بخياله وفنونه السردية والشعرية الخاصة به(٢).

وتشترك السّير الشعبية في عدد من الخصائص من أهمها:

١-أن تكون السيرة فردية، أو مجموعة يكونون ما يشبه اللجنة لها طابع موحد مميز.

٢-أن السير تكتب للتعبير عن أهداف معينة.

٣-لغة السير الشعبية النثرية لغة سهلة، تكاد تقترب من لغة التخاطب.

تحافظ السّير الشعبية على تلك الخصوصيات التي تشكل مقومات البقاء للجماعة وتماسكها فيما بينها، وبما يميزها عن الجماعة المجاورة لها، ويتضح ذلك في نمط البطولة الذي تصوره السيرة من خلال بطلها الذي تجعل منه رمزاً لمعنى البطولة في الجماعة التي يمثل قيمها، ومن أجل إرساء القيم والأعراف التي تتمسك بها الجماعة، كما يحقق حلمها وهو النصر على أعدائها(٣). فغالبا ما تحمل السيرة اسم بطلها وتروي قصة حياته من الولادة إلى الوفاة، والبطل غالبا ما يكون شخصية تاريخية وردت أخبارها في كتب

(١) ينظر: صفاء ذياب، تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٣) ينظر: كمال الدين حسين، دراسات في الأدب الشعبي، القاهرة، ص ٣٥.

التاريخ والسيرة والأدب مثل عنترة بن شداد والمهلهل بن ربيعة الزير سالم، وسيف بن ذي يزن، والظاهر بيبرس، وغيرهم وتتضمن السيرة الشعبية دفاعاً عن قضية من القضايا التي تهم الجماعة، وإن كان البطل تشغله قضيته الذاتية إلى أن السيرة تحمل رسالته في الدفاع عن قضية عامة تهم المجتمع ككل، فالبطل يعكس أحلام وآمال الجماعة(١). ويعبر عن تطلعاتهم وآمالهم المخبوءة في لا شعورهم الجمعي.

٣-العناصر الدرامية في السيرة الشعبية:

أولاً: شخصية البطل:

يمر البطل في أي سيرة بمراحل؛ مرحلة التكوين ثم مرحلة الفروسية، ثم المرحلة الملحمية، ثم مرحلة الامتداد(٢)، و تعكس شخصية البطل في السيرة الشعبية؛ آمال المجموعة وأحلامها، وتمثل حلمها وقدرتها على مواجهة القوى المعادية وهزيمتها، ويشمل البطل نوعين من القضايا:

النوع الأول: تلك القضايا المحورية الخاصة التي تتمايز بها كل سيرة أو ملحمة عن الأخرى، وتشكل القضية الأم التي تدور حولها السيرة أو الملحمة، ويأتي البطل رمزاً لها، وفي مجملها تكون ثورة اجتماعية على كثير من السلبيات التي تعوق الذات العربية.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢) ينظر: فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتاب السيرة الشعبية، منشورات أقرأ، بيروت ١ ط ٢، ١٩٨٠، ص ٢٥٢ -٢٥٤.

النوع الثاني: القضايا العامة أو المشتركة بين جميع السير والملاحم، ويأتي البطل رمزاً لها وهي قضايا المجتمع العربي، ذات الطابع القومي والديني والإنساني (١).

فعنترة بن شداد تشغله قضيته الذاتية وهي اعتراف القبيلة به وبحريته من جهة، وزواجه من ابنة عمه عبلة من جهة أخرى، بجانب هدفه القومي وهو الانتصار على الأعداء.

البطل الرئيس في السيرة الشعبية هو محور العمل الروائي ومركزه الرئيس، وباسمه تسمى السيرة، و **بطل السيرة الشعبية** في معظم الأحيان بطل تاريخي معروف يُتداول اسمه خلال أحداث التاريخ ، وتُتداول أخباره في كتب الأدب والأخبار ، فإن لم يرد اسمه في هذه الكتب فهو يرد في كتب الأسمار ، وكتب المجمعات للحكايات الشعبية المتداولة والمعروفة فالأصل التاريخي موجود سواء كان هذا الأصل لشخصية تاريخية بالفعل ، أو لشخصية شعبية اخترعها الخيال الشعبي في حكاية من حكاياته الخرافية وتداولها بكثرة ، بحيث أصبحت مستقرة في الضمير الشعبي، واردة عند جمهرة الناس في وجودها من الحقيقة والواقع التاريخيين.

فالضمير الشعبي الفني يختار بطله من حافظته الشعبية سواء ارتبط هذا الاسم بالتاريخ الحقيقي للأمة الإسلامية، أو ارتبط بالتاريخ الشعبي – الفولكلوري – لها.

إن تبادل الأخبار وتناقلها في كثير من الكتب عنصر هام من عناصر شهرة الشخصية ودخولها في دنيا البطولة في السيرة الشعبية، وشهرة البطل

(١) محمد النجار، البطل في الملاحم الشعبية، مرجع سابق، ص و.

وتداول الأخبار عنه واضح في شخصية عنترة بن شداد وقد وردت أخبار عنترة في روايات الأصمعي عن شعراء الجاهلية وأخبار الجاهليين ، فعنترة بطل تاريخي ترشحه عقدة اللون والجنس وشهرته وفروسيته ليكون بطلا روائيا ودراميا من الدرجة الأولى(١)

كما أن ازدواجية القضايا التي يحملها البطل في السيرة الشعبية تصنع لها ميدانين من الصراع لابد ان يخضوهما البطل وينتصر فيهما ؛ الميدان الأول مجتمعه الصغير والذي يشكل بنظمه وعقائده وشخصياته الرافضة لوجود البطل، طرفا في الصراع الذاتي مع البطل وفي هذا المجتمع يولد وينشأ ويتحقق حلم البطل، وهذا ما أثبته عنترة بن شداد في سيرته من إثبات ذاته وتحرره من العبودية.

ثم ينطلق البطل للميدان الثاني الأوسع وهو الوطن، والذي يصارع فيه البطل بإثبات ذاته أيضا وهذا الميدان هو قبيلة عنترة ابن شداد التي حاول ان يثبت لها فروسيته و شجاعته حتى تتقبله كفردا ينتمي لها.

ثانياً: خصوصيات شخصية البطل:

للبطل في السيرة الشعبية خصائص من أبرزها الفروسية وعلى أساسها تدور حياة القبيلة بأكملها، وتقترن الفروسية بالسفر، فالبطل الشاعر عنترة بن شداد، هو فارس ابن عبس، وشاعر المعلقات، ولا بد أن تقترن الفروسية بالشجاعة وبالقيم الأخلاقية من مساعدة الآخرين، ونجدة الملهوف.

(١) أدب السيرة الشعبية، مرجع سابق، ص ٩٠.

ويجمع عنترة بن شداد بين الشهامة والفروسية والكرم والخلق ، وهو لن يتدنى إلى أي فعل يمس معنى من هذه المعاني حتى لو كلّفه ذلك حياته ويظهر ذلك جليا في قوله:

وَأَغُـضُّ طَرْفِـي مَـا بَـدَتْ لِي جَـارَتِي حَتَّـى يُـوَارِي جَـارَتِي مَأْوَاهَـا

إِنِّـي امْـرُؤٌ سَـمح الخَلِيقَـة مَـاجِد لاَ أَتْبـع الـنَّفَس اللَجُـوج هَوَاهَـا[1].

ثالثا: المبالغة والتشويق.

تذكر المصادر قوة وشجاعة عنترة بن شداد بالعديد من القصص، منها ذكر أنّه تسلّل أسد من الجبال فرآه عنترة، وقام إليه وأمسكه بين يديه وضربه بين عينيه فخرّ الأسد صريعاً، كما يخرّ الجبل الأشم[2]، وأنشد عنترة:

أَنَا الأَسَدُ الهجام والبطل الذي يكشـر عـن أنيابـه والمخالـب

أنـا عـنترة العبسـي ابـن زبيبـة أنا الأسد الموصوف ضاهي المخالب[3]

وقد ذُكر أنْ عنترة خرج مع بعض الرجال للحرب وهجم سبعون فارساً على النساء، فما كان من عنترة، إلا أن قبل من قتل، وطعن رئيسهم وقتله،

(١) ينظر: محمد سعيد مولوي، ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: المكتب الإسلامي، القاهرة، ص ٥

(٢) درويش الجويدي، سيرة عنترة بن شداد، الدار النموذجية صيدا، لبنان، ٢٠١٣-١٤٣٤، ص ٥

(٣) سيرة عنترة بن شداد، المكتبة العلمية الحديثة ج ٥، ٤١

ففر الجميع هاربين تاركين الغنائم والنساء، فلما علم الملك زهير بذلك، فرح كثيراً وخلع عليه خلعة من الفخر، وقال له: "أذهب فهكذا تكون الفوارس"(١).

وذكر أن عنترة غزا يوماً بغنمه بعيداً، فلما انتصف النهار وحمى قرص الشمس، أوى إلى ظل شجرة ينعم بالنسيم ويراقب القطيع من طرف عينيه، وفجأة برز ذئب يعدو بين الغنمات ويشتت جمعها فتلقف عنترة عصاه وسعى خلفه راكضاً، فلماّ قاربه لم يأبه الذئب له، فأهوى عنترة بعصاه على رأس الذئب فهشمه وسقط أرضاً، فانحنى عنترة وقطع قوائمه ورأسه ووضعها في مخلاة كانت معه.. وعندما عاد دخل البيت وأخذت أمه المخلاة، فوجدت رأس الذئب وقوائمه، فذُهلت وخافت، ثم أخبرها الخبر فذكرت لوالده شداد فاستكبره وأكبره(٢).

ملامح الخيال في سيرة عنترة:

أ- الشخصية الغامضة:

حيرت شخصية عنترة بن شداد الباحثين والدارسين حول كونها شخصية تراثية جمعت دلالات متغيرة ، فلا يمكن فصل عنترة الشاعر الفارس ، عن عنترة المحب المتيم ، عن عنترة العبد والحر ،فهي شخصية ذات عناصر متكاملة متداخلة ، صهرت في بوتقة حضارية ثقافية، تاريخية واحدة ،لذلك كانت على رأس الشخصيات التراثية الشعبية التي دار حولها جدل كبير، فهناك خلاف كبير حول اسمه الثاني، فقيل: إنه "عنترة بن عمرو بن شداد،

(١) درويش الجويدي، سيرة عنترة بن شداد، ، ص ٦.

(٢) رحاب عكاوي، ملحمة العرب: سيرة عنترة بن شداد، دار الحرف العربي، بيروت، ص ٤٧.

وقيل عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة" [1] وهناك خلاف حول (شداد) الذي غلب على نسبه، هل هو جده ؟ أم عمه ؟ وهناك خلاف حول تفاصيل حياته الجامعة بشكل ظاهر بين ثنائيات متضادة، فهو العبد الذي كافح من أجل نيل حريته، وهو السيد الحالم الآمر، والحالب المصرّ لنوق قومه، وهو الفارس الصنديد الذي لا يقهر، والمذموم لسواد وجهه، المحمود لرباطة جأشه، وهو البطل الأسطوري المندفع، قاهر الإنس والجان، الذي "مات في يوم خمس مرات، وقطعت رأسه سبع مرات، وعاش بعد الممات"[2]، والفارس البشري الحذر، المتريث، متدبر الأمور. قيل له: "أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال: لا. قيل: فلماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً، وآنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله"[3] وهو المحب (لعبلة)، وهو زوجها الذي فاز بجمالها دون سائر الفرسان، والمخذول الباكي لما شاهد محبوبته في عصمة رجل غيره، وهو الموحّد الذي ما شُوهد "قط يسجد لصنم، ولا هتك حرم، وما آن يحلف إلا برب البيت الحرام، وما آن عنده يقين بظهور سيد المرسلين، ولما رجع من سفرته من بلاد الروم عند الملك قيصر أرسل وراء الراهب الذي في دير الصنم وقال له: متى يغور الماء الذي في جزيرة الصافات ومدينة الواحات التي في جزائر الإفرنج؟

(١) الأغاني، ج٢: ص ٢٤٤.

(٢) زكي أحمد كمال، الأساطير، الهيئة المصرية للكتاب بمصر. ٢٤٤.

(٣) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، م ٨، ص ٢٤٤.

فقال: يغور ذلك الماء بعد أن يظهر فارس بني عبس الأدهم وشجاعها المعلم، ففي ذلك الوقت ينقطع لمع عيان بعده يظهر المبعوث من آل عدنان، يكسّر الأصنام والصلبان، ويبطل عبادة النار والأوثان. قال عنترة: **ورب البيت الحرام أنا أحق من يؤمن به**" وهو الذي لم يسجل اعتراضاً على أصنام العرب في شعره قط(١).

وذكرت السّيرة أنه عندما بلغ العامين من عمره كان يدرج ويلعب بين الخيام، ويمسك الأوتاد ويقلعها فتقع البيوت على أصحابها أو يعافر مع الكلاب ويمسكها من أذنابها ويخنق صغارها ويقتلها ويضرب الصبيان(٢).

ثم يمر الطفل وهو ابن أربع سنوات بنمو جسمي سريع غير مألوف عند غيره من الأطفال، فقويت عضلاته، وفي هذه المرحلة يمر بعملية اختبار تكسبه الكفاءة، فيرمي إليه الملك زهير قطعة لحم فسبقه كلب من الكلاب إليها فخطف اللحمة وولىّ يطالب الهرب، وفي تلك اللحظة " لحقه ومسكه من رقبته وبرك عليه، وأخذ اللّحمة من بين فكيه، ثم أدخل يديه في فمه وقبض على شدقيه فشق حنكه إلى حد كتفيه، فقال زهير: والله ما هذه الفعال إلا دليل الشجاعة لهذا الغلام المسمى عنترة، ولابد أن يصير من أشجع الشجعان ". ثم يكبر عنترة ويتحمل المسؤولية، ويستنسخ من هذه المراحل أنه يرتقي إلى مصاف السيّر الملحميين(٣).

---

(١) ينظر: أبو المعاطي الرمادي، حضور عنترة وغبابه في المسرح العربي الحديث، مجلة النجاح للعلوم الإنسانية، مج ٢٦: ٥٦٥..

(٢) سيرة عنترة بن شداد، المكتبة الشعبية ، بيروت، لبنان، ص ٧٤.

(٣) المرجع السابق : ص ٧٥.

لقد أضفى الخيال الشعبي على أعمال "عنترة" البطولية ثوباً خرج بواقع السيرة من إطار الممكن والمعقول إلى إطار الخيال واللا معقول، فهو ينتصر ويتفوق ويتفرد على جميع الأبطال المعروفين في محيطه الداخلي ومحيطه الخارجي، ويشهد له الجميع بالتفوق، وجاءت سيرته بعدد كبير من المعارك التي خاضها ضد أعدائه، فلم يبق بطل من أبطال العرب لم يبارز عنترة، فقد حشد له الرواة جميع صناديد الجاهلية وفرسانها الأبطال.

وأرادت السيرة أن تصور "عنترة" بطلاً كبيراً فصورت بطولته وشجاعته تصويراً يفوق الخيال فهو بطل يخافه الإنس والجن، وتخشاه الأسود والغيلان، فهو القائل:

تهابُه الأسد في غاباتها جزعاً والجن ترهب منه والعرابيد[1].

فعنترة بن شداد كما صوّره الخيال الشعبي والقصص البطولي: "يعمل عملاً يعجز عنه الصناديد الرجال، فهو إذا طعن ضلعاً دقّه، وإذا ضرب رأساً شقّه، وإذا ضرب بطلاً رفعه على رأسه، وجلد به الأرض فرضّ عظامه رضاً وأي رضّ، وأدخل طوله في العرض، فلم يدع له طولاً يعرف من عرض وخلط أضلاعه بعضها ببعض"[2]

ب- مصارعة عنترة للقوى الغيبية

أما مصارعته للقوى الغيبة، فقد ورد في السيرة أن (وادي الشيطان كان معموراً بالجان، وفي ذلك المكان شجرة ثوم كفرية كبيرة يونانية، وعند الشجرة عين من الماء الزلال وهناك يسكن مارد جبار كان حبسه كاهن من

(١) ديوان عنترة ، ج ١، ص١٠٦

(٢) سيرة عنترة بن شداد، مصدر سابق ، ص: ١٠٦.

الكهان من قديم الزمان، وكان هذا المارد من ملوك الجان الذين آمنوا بسيدنا سليمان). ومن السيرة استطاع "عنترة" بقوته وشجاعته أن يقتل هذا المارد العجيب.

صورت السيرة عنترة وقد تغلب على كل القوى الغيبية وشجاعته وتمكنه من ذلك، ومصارعته للغول وانتصاره عليه من المشاهد التي تصور بطولات عنترة الخارقة، فالغول رغم قوته، استطاع "عنترة" أن ينتصر عليه، وفي ذلك قال:

والغول بين يدي يخفى تارة ويعود يظهر مثل ضوء المشعل

بنواظر زرق ووجه أسود وأظافر يشبهن حد المنجل

فإذا رأت سيفي تضج مخافة فوق الحي حول المنزل[1].

ج- تعدد الروايات حول زواج عنترة من عبلة بعد أن أصبح حُرّاً.؟

اشتهر عنترة بقصة حبه لابنة عمه عبلة بنت مالك، وكانت من أجمل نساء قومها، بينما كان عنترة بن شداد العبسي ابن جارية، أسود البشرة ذاق ذل العبودية، والمهانة، وحاول إثبات ذاته من خلال تطلعه للحرية.

وعرف عنترة بحبه لابنة عمه عبلة بنت مالك، واختلفت الروايات إن كان قد تزوج عبلة أم لا، وقد ذهب الأستاذ عمر الدسوقي إلى أن عنترة لم يتزوج عبلة، لأن أباها وأخاها منعاه زواجها وتزوجت بأحد أشراف قومها.

وربما ذهب الأستاذ الدسوقي إلى هذا الرأي قياسا على عادة العرب من منعها بناتها أن يتزوجن ممن شبب بهن قبل الزواج.

---

(١)- شرح ديوان عنترة، ١٣٧.

ورأى القرشي أن عنترة تزوج عبلة وأسباب ذلك ؛ أنه استلحق بنسب أبيه فزالت عنه هجنة النسب وأصبح ابن عم لعبلة تجمعهما أواصر القرابة، بالإضافة إلى أنه أشهر فرسان القبيلة وفروسيته أثبتت شجاعته.

أيضا ورأى أن لا تخلو استعارة من ذكر عبلة والتشبيب بمحاسنها حتى في مواقف الحرب، فلو كانت تزوجت بغيره لكفّ عن الغزل عنها(١).

د- نهاية عنترة:

وكما اختلف في سيرة عنترة وزواجه من عبلة ، اختلف كذلك في نهاية عنترة بن شداد، ذكر في الأغاني أن عنترة أغار على بني نبهان من طيء فطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير، وكان وزر بن جابر في فتوة، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سلمى، فقطع مطاه فتحامل بالرمية حتى أتى أهله، فقال وهو مجروح:

وإن ابن سلمى عنده فاعلموا دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

يحل بأكناف الشعاب وينتمي مكان الثريا ليس بالمتهضم

رماني ولم يدهش بأزرق لهذم عشية حلوا بين نعف ومخرم(٢)

وقال ابن الكلبي: وكان الذي قتله يلقب بالأسد الرهيص، وذكر أبو عمرو الشيباني أنه غزا طيئاً مع قومه ، فانهزمت عبس، فخر عن فرسه ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب، دخل دغلا، وأبصره ربيئة طيء فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيرا فرماه وقتله.

---

(١) سيرة عنترة، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٢) شرح ديوان عنترة ، ص ١٤١

وذكر أبو عبيدة أنه هاجت ريح من صيف فأصابته فقتلته.

والرواية المتداولة كما ذكر القرشي أن عنترة مات مقتولا إثر رمية ممن يلقب بالأسد الرهيص(١).

وكان خرج عنترة مع خرج بعض الفرسان في غزاة ويأخذون عروساً من بني طيئ كانت تزف إلى فارس من بني كندة ويخشى الملك متيس أن تجتمع عليه القبيلتان، فيطلب من عنترة إعادة العروس والأسلاب، ولكن عنترة يرفض ثم يقرر الرحيل نهائياً ويسير قاصداً "دمشق" عن الحارث بن وهاب، ويبلغ قيصراً ما يفعله عنترة فيستدعيه ويحارب معه أعداءه، ثم يعود إلى بلاده، فيحاول الربيع وعمارة تدبير مكايدة جديدة للإيقاع به، إلاّ أنه ينجو بمساعدة صديقه " عمرو ذو الكلب" فيقتلهما، ويذهب إلا بلاد الروم ليقاتل بعض أعداء قيصر، وفي طريق عودته يكمن له عدوه العتيد الأسد الرهيص ويصوب إليه سهماً مسموما، وكان قد أمضى فترة طويلة في التمرن عليه(٢).

وظهر الخيال في الميتة التي اختارها القصاص لعنترة ختاما لحياته، حيث ذكروا أن عنترة حينما أصيب بالسهم الذي رماه به الأسد الرهيص، بقي على جواده ثابتا فلما طال وقوفه ارتاب العدو في الأمر، وعرفوا بموته.

٤-عنترة بين الواقع والأسطورة:

المتأمل في سيرة عنترة بن شداد يجد الأسطورة تظهر في حياته بداية من اسمه، حيث عرف باسم (عنترة) ولم يعرف إن كان هذا هو اسمه، أو أنه لقب عَلِق عليه فاشتهر به.

---

(١) لأغاني، ج ٨، ص ٢٤٢.

(٢) سيرة عنترة، مصدر سابق ص ٤٢٠.

حيث ذكرت المعاجم العربية أن اسم (عنترة) هو الذباب الأزرق اللـــون، وقيل العنتر هو الشجاع، وعنترة: الشجاعة في الحرب، وعنترة بـــالرمح أي طعن، وعنتر وعنترة: اسمان منه.

أما في قوله:

يـدعون عـنتر والرمـاح كأنهـا أشـطان بئـر في لبـان الأدهـم

فقد يكون اسمه عنتراً كما ذهب سيبويه، وقد يكون أراد يا عنترة، فرخم على لغة من قال: يا حارُ[1].

وذُكر في القاموس المحيط يا عنترا الذباب.

وعنترة: صوته، والسلوك في الشدائد، والشجاعة في الحرب.

وقد تكون هذه الصفة غلبت على اسمه، وأصبح اسم (عنترة) كناية عـــن الشجاعة والإقدام في الحرب، مما جعل منه أسطورة تاريخية[2].

ومنهم من يرى (أن الرواة عندما قرأوا شعره وجدوا فيه ذكـــر أيـــــام العرب داحس والغبراء، ووجدوا اسمه مناسباً لأن يخلقوا منه بطلاً أسطورياً، وحولوا بعض الوقائع التاريخية إلى أساطير وضخموا بعض الأخبار الأخرى. وأسهم أيضاً في صنع فروسية عنترة الأسطورية شعره الذي كثيراً ما يتحدث فيه عن الحرب والحـــب)[3].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق ، مادة (عنتر) .

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص :.٨

(٣) عفيف عبد الرحمن : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، ص ٢٠٨

أما حقيقة وجود عنترة كشخصية حقيقية أكد وجوده الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ما ذكر لي جاهلي قط، وأحببت أن أراه إلاّ عنترة، وذكره أصحابه ممن أدركوا الإسلام، وأشهر شعره المروي عبر الرواة الثقات(١).

إن عنترة كغيره من فرسان الجاهلية، ولكن ما فعله الرواة من رفع شأن فروسيته، دلالة كبيرة على أن ما صنع حوله من أخبار وأساطير إنما هي تفسير لشعره عامة، فقد جسد عنترة في أشعاره بطولة العرب من جميع جوانبها الحربية والنفسية والخلقية، فكان هذا سبباً في أن تنصبه العصور التالية تمثالاً للبطولة العربية، وكأنه أصبح الناطق عن شعاراتها، لذا فإن عنترة الذي كان معروفاً من خلال شعره، قد صنع الرواة أخباراً عدة عن حياته تدور (مضامينها حول الحرية، والحرب، والحب)(٢) لكن هذه الأخبار بقيت فيها ثغرات تحتاج (إلى خيال المؤلف لملئها)(٣) فأبدع هذا الخيال في تضخيم الأخبار المحيطة بعنترة، منطلقاً من شعره ومما فيه من إشارات، وقام الراوي بأسطرة تلك الإشارات، فتحول بذلك عنترة إلى شخصية أسطورية بطولية تعد رمزاً للبطولة العربية. و ينشأ هنا سؤال هو: لماذا صنع من عنترة شخصية أسطورية وانتهت إلى سيرة شعبية ؟

إن عنترة إنسان تحول إلى أسطورة عن طريق أسطرة الأخبار الواقعية التي تكلمت

(١) أحمد محمد مشرفة الحراحشة، (عنترة وعبلة بين الحقيقة والخيال)، الأردن، ص٦.

(٢) شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي،ط١، القاهرة، سلسة اقرأ، دار المعارف، ١٩٨٤: ص٣٠.

(٣) عفيف عبد الرحمن، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، ط١، بيروت، دار الأندلس،١٩٨١: ص ٥٢٣

عن حياته، فبالغ فيها الرواة حتى جعله الناس رمزاً للبطولة والفروسية والحب،، ففروسيته، وحبه لعبلة، وكفاحه ضد أسرته وقبيلته حتى حقق حريته، و بطولته في حروب داحس والغبراء كلها (قد لفتت أنظار القصاصين والرواة، فاهتموا به، وجمعوا أخباره وأضافوا إليها من نسج خيالهم،)[1]. وكان الشعر رافداً من روافد الأخبار التي في مجموعها تكون فكانت سيرة عنترة نسيجاً ملحمياً بطولياً أو أسطوريا

أما (عبلة) فهل هي شخصية حقيقية أم أسطورية ! ذكرت دراسة بعنوان (عنترة وعبلة بين الحقيقة والخيال)، أنه لا يوجد في بني عبس امرأة بهذا الاسم، والقيم القبلية عند العرب تتمثل في الغيرة على الأعراض، فلا يمكن لقبيلة عبس وهي إحدى قبائل العرب أن تقبل مثل هذا العشق وقصصه بين عبد في القبيلة وفتاة جميلة من بنات القبيلة، ولم تذكر المصادر العربية عبلة إلا في مواضع تشبيب عنترة بها.

و إذا أردنا أن نعرض مقارنة بين شخصية عنترة بن شداد التاريخية، والموجودة في السيرة فإننا نجد أنها تلتقي عند نقاط كثيرة منها:

- أن عنترة بن شداد عبد أسود ابن أمة، وأبوه من أعيان بني عبس يدعى شداد.
- يعد فارس القبيلة وشاعرها.
- خاض معارك عديدة، وعلى رأسها حرب " داحس والغبراء"
- قصة حبه لعبلة.
- مات بعد أن كبر، باختلاف كيفية نهايته.

---

(١) نفسه ،

إلا أن أغلب السير اتفقت على أن قاتله هو الأسد الرهيص.

كما أنّ الخيال يرسم صورة عنترة شخصيّة خارقة للعادة منذ ولادته حتى أصبح فارساً مغواراً.

وقد ظلت الروايات سواء كانت رسمية مكتوبة أو شفوية شعبية تُلبس شخصيّة عنترة أثوابا مختلفة من الخيال والأَسْطَرة، وتُضيف إليها من التّعجيب والخوارق ما يجعل البَوْن شاسعا بين شخصيّة عنترة في كتب التاريخ والأدب، وشخصيته في المرويات والخيال الشعبي، ودلالة ذلك أن التدوين أكثر عقلانية ومنطقا، بينما يجنح الخيال الشعبي إلى المبالغة والتهويل والأسْطَرة، وقد تَنَامَتْ معظم هذه المبالغات الشّعبية في وصف شخصية عنترة أو غيرها من شخصيات الأبطال الشّجعان في عصور الضّعف والانحطاط الذي مرّت به الأمة العربية بصفة خاصة، وذلك تعويضا عن فقدان البطولات وبحثا عن شخصيات شجاعة تتصف ببطولات خارقة تُنجد الأمة وتحقق لها الانتصارات حتى وإن كان ذلك على مستوى الخيال والرواية.

فما لم يتحقق في الواقع تسعى العبقرية الشعبية إلى تحقيقه في الخيال من أجل الإشباع النّفسي والتعويض عن الفقد الحاصل الواقع.

الخاتمة

- بعد تتبعنا لملامح الخيال الشعبي في سيرة عنترة بن شداد من خلال هذه الدراسة التحليلية توصلنا إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:
- صوّرت السّيرة الشعبية عنترة بن شداد إنسانا خارقاً شجاعاً مغواراً، وفارساً أسطورياً، وبطلا ملحمياً يُجسد أحلام وآمال وطموحات الإنسان العربي، الذي يبحث عن بطولاته الضائعة على مستوى الواقع، ليعيشها ويُشبعها على مستوى الخيال.
- فسيرة عنترة قد شكّلت ظاهرة أدبية وأسطورية في التاريخ العربي، وأسهم الخيال الشعبي في تشكيل سيرته عبر القصص والحكايات الكثيرة التي نُسجت حول شخصيته، وأضفت عليها من العجائبية ما جعلها تجمع بين المتناقضات والغرائب، فاجتمعت في شخصيته خصال عدة، فهو الفارس المحارب من جهة، وهو العاشق المرهف الحس، المتيم من جهة أخرى.
- ستظل سيرة عنترة مثالاً للفروسية العربية بخصالها السامية التي سجلتها قصائده الشعرية ومغامرته الحربية، حيث حارب ودافع عن قومه، وجاءت سيرته ترجمة لتجربته الذاتية ومعاناته من العبودية فأثبت ذاته وظل فارساً للقبيلة، وظلّت سيرته أسطورة يتغنى العرب بها تذكيراً بماضيهم القوي ورغبة منهم في عودة هذا الماضي وهذه البطولات.
- ظهرت صورة عنترة في التاريخ وكتب الأدب محالفة لصورته في الرواية الشعبية التي اتسمت بالمبالغة وجنوح الخيال والخوارقية والتعجيب، وكان ذلك من أجل التعويض عن فقدان البطولة في الواقع خاصة، وأن سيرة عنترة وغيرها من السير الشعبية للأبطال الخارقين ازدهرت في مراحل تاريخية اتسمت فيها الأمة العربية بالضعف والانهزامية.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- المصادر:
٣- ديوان عنترة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة
٤- سيرة عنترة بن شداد، درويش الجويدي، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، ١٤٣٤-٢٠١٣م.
٥- سيرة عنترة بن شداد، المكتبة الشعبية ، بيروت، لبنان
٦- شرح ديوان عنترة بن شداد، مجبد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،١٤٢٥.
٧- ملحمة العرب، سيرة عنترة بن شداد، دار الحرف العربي، بيروت.
٨- المعاجم:
٩- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت، ١٤١٠-١٩٩٠
١٠- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
١١- المراجع:
١٢- أدب السيرة الشعبية، فاروق خورشيد، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العلمية للنشر، ١٩٩٤م.
١٣- الأساطير، زكي أحمد كمال، الهيئة المصرية للكتاب بمصر
١٤- البطل في الملاحم الشعبية، محمد النجار، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.
١٥- البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، ط١،القاهرة، سلسلة اقرأ، دار المعارف، ١٩٨٤م

١٦- تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية، صفاء ذياب، الطبعة الأولى ٢٠١٥، دمشق.
١٧- حضور عنترة وغبابه في المسرح العربي الحديث، أبو المعاطي الرمادي، مجلة النجاح للعلوم الإنسانية...
١٨- دراسات في الأدب الشعبي، كمال الدين حسين، القاهرة.
١٩- السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية.
٢٠- الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، عفيف عبد الرحمن، ط ١، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨١.
٢١- عنترة وعبلة بين الحقيقة والخيال، أحمد محمد مشرفة الحراحشة، الأردن.
٢٢- فن كتابة السيرة الشعبية، فاروق خورشيد ومحمود ذهني، منشورات اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

الدكتورة:
نوير بنت سعيد باجابر –السعودية جامعة أم القرى
أستاذ مساعد قسم الأدب، عضو هيئة تدريس في قسم اللغة العربية بجامعة أم القرى حاصلة على درجة الماجستير في الأدب من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة عام ١٤٢٩هـ، حاصلة على درجة الدكتوراه في الأدب من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٣٥هـ.
تولت عدة مناصب إدارية:
رئاسة نادي اللغة العربية بالكلية الجامعية بالقنفذة فرع الطالبات.
وكيلة شؤون الانتساب عام ١٤٢٩-١٤٣٠هـ

وكيلة الكلية الجامعية بالقنفذة شطر الطالبات من عام ١٤٣٦هـ حتى ١٤٤٠هـ.

وكيلة عمادة شؤون الطلاب بالكلية الجامعية بالقنفذة (شطر الطالبات) من عام ١٤٤١هـ إلى تاريخه.

لها بعض الأبحاث المحكمة المنشورة في بعض المجلات العربية.

لها مشاركات في الأنشطة الأدبية والثقافية والمجتمعية داخل الجامعة وخارجها.

مشاركة في مؤتمر اللغة العربية بالإسكندرية عام ٢٠١٧م تحت عنوان واقع اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي